

(تمة)

: انقسم الناس في معية الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام

: القسم الأول

: يقولون إن معية الله تعالى لخلقه مقتضاها

، العلم والإحاطة في المعية العامة

، ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة

. مع ثبوت علوه بذاته واستوائه على عرشه

. وهؤلاء هم السلف ومذهبهم هو الحق كما سبق تقريره

: القسم الثاني

يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض

. مع نفي علوه واستوائه على عرشه

وهؤلاء هم الخلولية من قدماء الجهمية وغيرهم، ومذهبهم باطل منكر، أجمع السلف على بطلانه وإنكاره كما سبق

: القسم الثالث

يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض

مع ثبوت علوه فوق عرشه. ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ص 229 ج 5 من مجموع الفتاوى

وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو.

وكذبوا في ذلك فضلوا، فإن نصوص المعية لا تقتضي ما ادعوه من الحلول؛

لأنه باطل ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله باطلاً

تنبيه) اعلم أن تفسير السلف لمعية الله تعالى لخلقه) - بأنه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم

بل المعية تقتضي أيضاً إحاطته بهم سمعاً وبصراً وقدرة وتدبيراً ونحو ذلك من معاني ربوبيته

تنبيه آخر) أشرت فيما سبق إلى أن علو الله تعالى) - ثابت بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، والإجماع

: أما الكتاب فقد تنوعت دلالاته على ذلك

فتارة بلفظ العلو، والفوقية، والاستواء على العرش، وكونه في السماء

كقوله تعالى: (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)(158) ، (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)(159) ، (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)(160) ، (أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ)(161)

، وتارة بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه

كقوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)(162) ، (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ)(163) ، (إِذْ قَالَ اللَّهُ

. (يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) (164)

، وتارة بلفظ نزول الأشياء منه ونحو ذلك

كقوله تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ) (165) ، (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) . (166)

وأما السنة فقد دلت عليه بأنواعها القولية، والفعلية، والإقرارية، في أحاديث كثيرة، تبلغ حد التواتر، وعلى وجوه متنوعة

كقوله صلى الله عليه وسلم في سجوده: "سبحان ربي (الأعلى)" (167)

وقوله: "إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن (رحمتي سبقت غضي)" (168)

. (وقوله: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء" (169)

وثبت عنه أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة . (يقول: "اللهم أغثنا" (170)

وأنه رفع يده على السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة . حين قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت

. (فقال: "اللهم اشهد" (171)

"وأنه قال للجارية: "أين الله؟

. قالت: في السماء

. (فأقرها وقال لسيدها: "أعتقها فإنها مؤمنة" (172)

وأما العقل: فقد دل على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص

والعلو صفة كمال

، والسفل نقص

. فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضده

وأما الفطرة: فقد دلت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية فما من داع أو خائف فزع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو لا يلتفت عن ذلك يمنه ولا يسرة

واسأل المصلين، يقول الواحد منهم في سجوده "سبحان ربي الأعلى": أين تتجه قلوبهم حينذاك؟

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سمواته مستو على عرشه؛ وكلامهم مشهور في ذلك نصاً وظاهراً

قال الأوزاعي: "كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره - فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات

وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم،
ومحال أن يقع في مثل ذلك خلاف وقد تطابقت عليه هذه الأدلة العظيمة التي لا يخالفها إلا مكابر طمس على قلبه واجتالته الشياطين عن فطرته. نسأل الله تعالى السلامة والعافية

فعلو الله تعالى بذاته وصفاته من أبين الأشياء

.وأظهرها دليلاً وأحق الأشياء وأثبتها واقعاً

تنبيه ثالث) اعلم أيها القارئ الكريم، أنه صدر -
مني كتابة لبعض الطلبة تتضمن ما قلته في بعض المجالس
في معية الله تعالى لخلقه

ذكرت فيها: أن عقيدتنا أن لله تعالى معية حقيقة
ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكل شيء علماً
وقدرة، وسمعاً وبصراً، وسلطاناً وتدبيراً

وأنه سبحانه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في
، أمكنتهم

بل هو العلي بذاته وصفاته، وعلوه من صفاته
، الذاتية التي لا ينفك عنها

وأنه مستو على عرشه كما يليق بجلاله

وأن ذلك لا ينافي معيته؛

. (لأنه تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(173)

وأردت بقولي "ذاتية": توكيد حقيقة معيته تبارك
وتعالى.

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف وقد
قلت في نفس هذه الكتابة كما ترى: إنه سبحانه منزّه
أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، وأنه
العلي بذاته وصفاته، وأن علوه من صفاته الذاتية
، التي لا ينفك عنها

وقلت فيها أيضاً ما نصه بالحرف الواحد: "ونرى أن من

زعم أن الله بذاته في كل مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده، وكاذب إن نسبته إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها". اهـ

ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدره حق قدره أن يقول: إن الله مع خلقه في الأرض

وما زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالسي جرى فيه ذكره. وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة (الدعوة) (174) التي تصدر في الرياض نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة 1404هـ أربع وأربعمئة وألف برقم 911 قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - من أن معية الله تعالى لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق فضلاً عن أن يستلزمه، ورأيت من الواجب استبعاد كلمة "ذاتية". وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى وحقيقة المعية

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى فإنها كلمة باطلة، يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان وبأي لفظ كانت.

وكل كلام يوهم - ولو عند بعض الناس - ما لا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه لئلا يظن بالله تعالى ظن السوء،

لكن ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فالواجب إثباته وبيان

بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله - عز وجل

: المثال السابع والثامن

، (قوله تعالى: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)(175)

وقوله: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ)(176). حيث فسر القرب فيهما بقرب الملائكة .

والجواب: أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره

أما الآية الأولى فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك، حيث قال: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)(177)

ففي قوله: (إِذْ يَتَلَقَّى) دليل على أن المراد به قرب الملكين المتلقين .

وأما الآية الثانية: فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة

. (لقوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)(178)

ثم إن في قوله: (وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ)(179) دليلاً بيناً على أنهم الملائكة، إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره، وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة لاستحالة ذلك في حق الله - تعالى

بقي أن يقال: فلماذا أضاف الله القرب إليه، وهل جاء

نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة؟

فالجواب: أضاف الله تعالى قرب الملائكة إليه؛ لأن قريهم بأمره، وهم جنوده ورسله.

وقد جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة، كقوله . (تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)(180)

فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه

لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى

وكذلك جاء في قوله تعالى: (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى . (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ)(181)

وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى.

:المثال التاسع والعاشر

. (قوله تعالى عن سفينة نوح: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)(182)

. (وقوله لموسى: (وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي)(183)

والجواب: أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام، وحقيقته

لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله؛ أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يربى فوق عين الله !! تعالى؟

أو يقال: إن ظاهره أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى. يرعاه ويكلؤه بها.

:ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي،
والقرآن إنما نزل بلغة العرب

. **(قال الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (184)**

وقال تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ))
185) .

ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني أن المعنى
أنه يسير داخل عينه

ولا من قول القائل: فلان تخرج على عيني، أن تخرجه كان
، وهو راكب على عينه

ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب
لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف
الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى؛

لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه لا يحل فيه
شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته -

سبحانه وتعالى - عن ذلك علواً كبيراً

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية
تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني أن
السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية
موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها

، وهذا معنى قول بعض السلف بمراى مني

فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن
يراه

ولازم المعنى الصحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة
اللفظ حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام

:المثال الحادي عشر

قوله تعالى في الحديث القدسي: "وما يزال عبي يتقرب
إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي
يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها،
ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن
استعاذني لأعيذنه

والجواب: أن هذا الحديث صحيح رواه البخاري في باب
(التواضع الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق(186)

وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث
وأجروه على حقيقته

ولكن ما ظاهر هذا الحديث؟

هل يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولي وبصره
ويده ورجله؟

أو يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله؟

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث

:فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين

:الوجه الأول

أن الله تعالى قال: "وما يزال عبي يتقرب إليّ"، **بالنوافل حتى أحبه**

. "وقال: "ولئن سألتني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه

فأثبت عبداً ومعبوداً ومتقرباً ومتقرباً إليه، ومحباً ومحبواً، وسائلاً ومسئولاً، ومعطياً ومعطى، ومستعيذاً ومستعاذاً به، ومعيداً ومعاذاً

فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر

وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفاً في الآخر أو جزءاً من أجزائه.

الوجه الثاني: أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها، أو صاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن

ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي قبله شيء يكون سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً لمخلوق

بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره ، ويجسر ،
اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير

فكيف يسوغ أن يقال: إنه ظاهر الحديث القدسي وأنه
قد صرف عن هذا الظاهر، سبحانه اللهم ومحمدك لا نحصى
ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه تعين القول
الثاني وهو أن الله تعالى يسدد هذا الولي في سمعه
وبصره وعمله بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله
بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصاً، وبالله تعالى
استعانة، وفي الله تعالى شريعاً واتباعاً، فيتم له بذلك
كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة وهذا غاية
التوفيق ،

وهذا ما فسره به السلف، وهو تفسير مطابق لظاهر
اللفظ موافق لحقيقته متعين بسياقه ، وليس فيه تأويل
ولا صرف للكلام عن ظاهره ، والله الحمد والمنة

:المثال الثاني عشر

قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى
أنه قال: "من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن
تقرب مني ذراعاً تقربت من باعاً، ومن أتاني يمشي
أتيته هرولة". وهذا الحديث صحيح رواه مسلم في كتاب
الذكر والدعاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وروى
نحوه من حديث أبي هريرة أيضاً، وكذلك روى البخاري
نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب
(التوحيد الباب الخامس عشر) 187

وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام
الأفعال الاختيارية بالله تعالى ، وأنه - سبحانه - فعال
لما يريد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة

مثل قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) . (188)

. (وقوله: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (189)

. (وقوله: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) (190)

. (وقوله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (191)

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر" (192)

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن (بيمينه)" (193)

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى.

فقوله في هذا الحديث: تقربت منه ، وأتيته هرولة ، من هذا الباب .

والسلف "أهل السنة والجماعة" يجرون هذه النصوص على ظاهرها وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل من غير تكييف ولا تمثيل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول ص 466 جـ 5 من مجموع الفتاوى: "وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده ،

فهذا **يثبته من يثبت** قيام الأفعال الاختيارية
بنفسه، ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستواءه على
العرش،

وهذا **مذهب** أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل
الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر". **اهـ**

فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف
يشاء مع علوه؟

وأي مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا
تمثيل؟

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعلاً لما يريد على
الوجه الذي يليق به؟

وذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث
القدسي "أتيت به **هرولة**" يراد به سرعة قبول الله تعالى
واقباله على عبده المتقرب إليه المتوجه بقلبه
، وجوارحه

. **وأن** مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل

وعلى ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال في الحديث: "ومن
"أتاني **يمشي**"

ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله - عز وجل - الطالب
للوصول إليه لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى
، بالمشي فقط

بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد ومشاعر الحج
، والجهاد في سبيل الله ونحوها

، وتارة بالركوع والسجود ونحوهما

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن: "أقرب ما
(يكون العبد من ربه وهو ساجد)" (194)

بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه
والعبد مضطجع على جنبه

. (كما قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) (195)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: "صل
قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى
جنب)" (196).

قال: فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازة
الله تعالى العبد على عمله

وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئاً
جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل

وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية
المفهومة من سياقه

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم
يكن تفسيره به خروجاً به عن ظاهره ولا تأويلاً كتأويل
أهل التعطيل، فلا يكون حجة لهم على أهل السنة والله
الحمد.

وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر لكن
القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف

ويجاب عما جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى

وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي بأن الحديث خرج مخرج
المثال لا الحصر

فيكون المعنى: من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي
لتوقفها عليه بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد
للصلاة أو من ماهيتها كالطواف والسعي. والله تعالى
أعلم.

:المثال الثالث عشر:

. (قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا)(197)

:والجواب

أن يقال: ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها حتى يقال
إنها صرفت عنه؟

هل يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده
كما خلق آدم بيده؟

أو يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما
خلق غيرها لم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد
والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها
القرآن الكريم.

:أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين

أحدهما: أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي
، الذي نزل به القرآن

، (ألا ترى إلى قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)(198)

وقوله: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
، (يَرْجِعُونَ)(199)

. **وقوله:** (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ)(200)

فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه وإن عمله بغير يده

بخلاف ما إذا قال: عملته بيدي

كما في قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)(
201) .

. **فإنه يدل على** مباشرة الشيء باليد

الثاني: أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده لكان لفظ الآية: خلقنا لهم بأيدينا أنعاماً

كما قال الله تعالى في آدم: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي)(202) ؛

لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية ؛

. **(لقوله تعالى:** (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)(203)

وإذا ظهر بطلان القول الأول تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني وهو: أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها ولم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية ،

، بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعدي بالباء إلى اليد
فتنبه للفرق فإن التنبيه للفرق بين المتشابهات من
أجود أنواع العلم، وبه يزول كثير من الإشكالات

المثال الرابع عشر:

. (قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (204)

: والجواب

: أن يقال

: هذه الآية تضمنت جملتين

: الجملة الأولى

. (قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ

وقد أخذ السلف "أهل السنة" بظاهرها وحقيقتها، وهي
صريحة في أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يبايعون
النبي صلى الله عليه وسلم نفسه

. (كما في قوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) (205)

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ): أنهم
يبايعون الله نفسه، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ
لمنافاته لأول الآية والواقع استحالة في حق الله
تعالى.

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول صلى الله عليه

وسلم مبايعة له ؛ لأنه رسوله قد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله؛ لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله

. (لقلوه تعالى: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)(206)

وفي إضافة مبايعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى من تشريف النبي صلى الله عليه وسلم وتأيدته وتوكيد هذه المبايعة وعظمها ورفع شأن المبايعين ما هو ظاهر لا يخفى على أحد

: الجملة الثانية

. (قلوه تعالى: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)(207)

وهذه أيضاً على ظاهرها وحقيقتها، فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين؛ لأن يده من صفاته وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم. وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته وهو لتوكيد كون مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم مبايعة لله عز وجل، ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا مباشرة لأيديهم

ألا ترى أنه يقال: السماء فوقنا مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا

فيد الله عز وجل فوق أيدي المبايعين لرسوله صلى الله عليه وسلم مع مباينته تعالى لخلقه وعلوه عليهم

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ):

يد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛

لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه ، ووصفها بأنها فوق أيديهم .

ويد النبي صلى الله عليه وسلم عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم ، بل كان يبسطها إليهم ، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم ، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم .

: المثل الخامس عشر

قوله تعالى في الحديث القدسي: "يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني". الحديث

وهذا الحديث رواه مسلم في باب فضل عيادة المريض من كتاب البر والصلة والآداب رقم 43 ص 1990 ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟!، يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب! وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب! كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبي فلان . (فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي)" (208)

والجواب: أن السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم ، وإنما فسروه ، بما فسره به المتكلم به

فقوله تعالى في الحديث القدسي مرضت، واستطعمتك،
واستسقيتك، بينه الله تعالى بنفسه حيث قال: أما علمت
أن عبدي فلان مرض، وأنه استطعمك عبدي فلان.
واستسقاك عبدي فلان.

وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله،
واستطعام عبد من عباد الله، واستسقاء عبد من عباد
الله،

والذي فسر به ذلك هو الله المتكلم به وهو أعلم
بمراده،

فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله والاستطعام المضاف
إليه والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه
واستسقاؤه لم يكن في ذلك صرف الكلام عن ظاهره؛

لأن ذلك تفسير المتكلم به فهو كما لو تكلم بهذا المعنى
ابتداءً. وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب
والحث

. (كقوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ) (209)

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل
الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من
كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وإنما يحرفونها بشبه باطلة هم فيها متناقضون
مضطربون.

إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله
تعالى ورسوله، ولو كان ظاهرها ممتنعاً على الله - كما
زعموا - لبينه الله ورسوله كما في هذا الحديث. ولو كان

ظاهرها اللائق بالله ممتنعاً على الله لكان في الكتاب
والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا
بكلفة، وهذا من أكبر المحال

ولنكتف بهذا القدر من الأمثلة لتكون نبزاً لغيرها،
وإلا فالقاعدة عند أهل السنة والجماعة معروفة

وهي إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من
غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل

وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في قواعد نصوص
الصفات. والحمد لله رب العالمين

والله أعلم